Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 51, No. 2, 2024

Deanship of Scientific Research

The Use of Imprecation and its Psychological Motivations in Nefi's Poetry

Hassan Abdallah Alzyout [1]*, ***Omar Hasan Alameri***[2]

[1]Department of Semitic and Oriental Languages/ Turkish Language, Faculty of Arts, Yarmouk University, Irbid, Jordan.

[2]Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts,Yarmouk University, Irbid, Jordan.

Received: 14/12/2022
Revised: 2/5/2023
Accepted: 22/5/2023
Published: 30/3/2024

* *Corresponding author:*
hassanzyuot@gmail.com

Citation: Alzyout, H. A., & Alameri ., H. A. (2024). The Use of Imprecation and its Psychological Motivations in Nefi's Poetry. *Dirasat: Human and Social Sciences*, *51*(2), 535–544.
https://doi.org/10.35516/hum.v51i2.3305

© 2024 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

Objective: This study aims to examine the use of imprecation in Nefi's poetry and its underlying psychological motivations.

Methods: Employing a descriptive approach, this study focuses on Nefi's utilization of imprecation in his poetry. Examples are gathered from his diwan and his book titled "Sihaami Kadaa," and they were categorized based on the targeted curses, translated into Arabic and analyzed using psychological principles to elucidate the poet's intentions.

Results: The study identifies three main psychological motivations for invoking curses: compensating for inadequacy, inflating the ego, and releasing negative emotions. Nefi's prayers against government figures expressed his anger and protested the injustice he experienced. They also compensated for his inability to attain his rightful position. Similarly, his curses against rivals with connections to officials served as an outlet for his hatred. Furthermore, his curses against fate allowed him to vent negative emotions and conflicts related to his belief in fate's role in his suffering and that of others.

Conclusions: Nefi, a 17th-century poet, excelled in praise and pride poetry. He became the foremost satirist in classical Turkish literature, employing imprecation (Bad Duaa) to curse enemies, adversaries, loved ones, himself, and even celestial beings.

Keywords: Classical Turkish literature, Nefi, satire, imprecation, Nefi's divan, Sihaami Kadaa.

الدعاء بالشرودو افعه النفسية في شعر الأديب التركي نفعي

حسان عبدالله الزيوت [1]*، ***عمر حسن العامري*** [2]

[1] قسم اللغات السامية والشرقية، كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

[2] قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

ملخّص

الأهداف: هدفت هذه الدراسة إلى تسليط الضَّوء على ظاهرة الدعاء بالشّر عند الشاعر التركي نفعي، ومعرفة الأسباب النفسية التي دفعته إلى اللجوء إلى استخدامها.

المنهجية: اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي القائم على جمع أمثلة الدعاء بالشر المتناثرة في كلٍّ من ديوان الشاعر نفعي، وكتابه المعنون بـ"سهامِ قضا" وتقسيمها وفقًا للمدعوِّ عليهم ثم ترجمتها إلى العربية ودراستها بالإفادة من بعض مبادئ علم النفس؛ لمعرفة الدوافع الكامنة وراء استخدام الشاعر لها.

النتائج: توصلت الدراسة إلى أنّ البواعث النفسية للدعاء بالشر عند نفعي منحصرةٌ بثلاثة أمورٍ رئيسةٍ هي التعويض عن مركب النقص وتضخم الأنا والتنفيس عن المشاعر السلبية. كانت أدعية الشاعر على كبار رجال الدولة تنفيسًا عن غضبه واحتجاجه على الظلم الذي وقع عليه منهم، وتعويضًا سلبيًا لعجزه عن استيفاء حقه منهم وشكلًا من أشكال التعويض السلبي عن مركب النقص الذي شعر به عقِب عدم حصوله على أي منصبٍ في الدولة. في حين جاء دعاؤه على خصوم ممدوحيه من كبار رجال الدولة تنفيسًا عن مشاعر كرهه لخصومهم، وأما الدعاء على الفلك فقد كان تنفيسًا عن مشاعره السلبية وصراعاته الداخلية الناجمة عن اعتقاده بأن الفلك هو المسبب لمعاناته وغيره من العاشقين.

الخلاصة: يعد الشاعر المعروف نفعي أكبر الهجّائين وأحد أهم شعراء المدح والفخر المجيدين في الأدب التركي الكلاسيكي في القرن السابع عشر الميلادي. وقد عمد إلى استخدام أسلوب الدعاء بالشر في أشعاره على اختلاف أغراضها؛ ليدعو على خصومه من كبار رجال الدولة وعلى أعداء ممدوحيه، وعلى المعشوقة، وعلى ذاته وعلى الفَلَك.

الكلمات الدالة: الأدب التركي الكلاسيكي، نفعي، الهجاء، الدعاء بالشر، ديوان نفعي، سهام قضا.

المقدمة

تُعَدُّ العاطفة ركيزةً أساسية في الشعر لا يمكن الاستغناء عنها؛ وهي "تنظيم وجداني مركب من عدة استعدادات نفسية"، (الماضي، 1984، ص. 119) أو بعبارة أخرى شعور الإنسان تجاه أمرٍ أو شخصٍ أو فكرةٍ ما، كالفرح والحزن والغضب والحب والود والخجل وغيرها. وقد نبه غير واحد من العلماء على أهمية العاطفة في بلورة العمل الأدبي بصفة عامة والنص الشعري بصفة خاصة وإخراجه إلى حيز الوجود؛ نذكر منهم على سبيل المثال ابن رشيق القيرواني (ت 406هـ/1063م)؛ إذ يقول: "قواعد الشعر أربع: الرغبة، والرهبة، والطرب، والغضب؛ فمع الرغبة يكون المديح والشكر، ومع الرهبة يكون الاعتذار والاستعطاف، ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب، ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد والعتاب الموجع." (1981، ص. 120) وبعبارة أخرى، يمكن القول أنّ الفنون الشعرية كلها صادرة عن عاطفتين متناقضتين هما الحب والبغض؛ فمديح الشاعر أو فخره أو رثاؤه أو تغزله صادر عن عاطفة الحب والرضا، أما هجاؤه وعتابه ووعيده ونذيره فإنه صادر عن عاطفة البغض والسخط والحقد والكره.

فالشعور بالعجز والحنق تجاه الأشخاص أو الأشياء، إذًا، يعد أحد الأحاسيس المهمة والمشاعر المؤثرة في بناء النص الشعري؛ وينتج عنه شعر الهجاء، ولربما يلجأ الشاعر الذي يُكِنُّ في صدره هذه المشاعر إلى الدعاء بالشر أيضًا، فيستعين بقوى غيبية أكثر قدرةً منه على أخذ حقه ورد اعتباره وتحقيق مرامه. فالدعاء بالشر هو قضية نفسية، وهو في الوقت ذاته أسلوب من أساليب رد الفعل الكلامية التي يلجأ إليها الناس عمومًا والشعراء خصوصًا عند غضبهم أو شعورهم بالعجز عن أخذ حقوقهم من الآخرين، بهدف تفريغ همهم والتنفيس عن غضبهم وحنقهم.

ويُعدُّ الشاعر عمر بن محمد الأرضرومي المُتَخَلِّصُ بنفعي (1572-1635) أهم شعراء الهجاء والمديح في الأدب التركي الكلاسيكي في القرن السابع عشر الميلادي؛ فإلى جانب براعته في المديح برع نفعي في الهجاء أيما براعة، ولم يكد يسلم من هجائه أحد، بل إن الأمر قد بلغ به حدًا هجا فيه أباه ونفسه! وقد لجأ في العديد من أشعاره على اختلاف موضوعاتها إلى الدعاء بالشر؛ فنراه يدعو بالشر على المهجوِّ تارة، وعلى أعداء ممدوحه تارة أخرى، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تجاوز ذلك ليدعو على نفسه وعلى معشوقته وعلى الفَلَك!

ولمّا تبين لنا بعد البحث والتمحيص أنّ هذا الموضوع ـ على أهميته لم يحظَ بدراسة مستقلة تكشف عن جوانبه المتعددة وتميط اللثام عن مضامينه والدوافع الكامنة وراءه لا بالتركية ولا بالعربية، فقد آثرنا أن نُفرده بدراسة مستقلة تسعى إلى تسليط الضَّوء على هذه الظاهرة عند الشاعر نفعي، من خلال جمع أمثلة الدعاء بالشر المتناثرة في كلٍّ من ديوانه وكتابه المعروف "سهامِ قضا" وتقسيمها وفقًا للمدعوّ عليهم ثم ترجمتها إلى العربية ودراستها وتحليلها بالإفادة من بعض دراسات علم النفس (إسماعيل، 2014؛ الدروبي، د.ت؛ سويف، 1951) انطلاقًا من كون النص الشعري عملًا صادرًا عن مجموعة من العوامل النفسية ونشاطًا يعكس الوضع النفسي لقائله. وتحاول الدراسةُ الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- من هم الأشخاص وما هي الأشياء التي استهدفها الشاعر بالدعاء؟
- ماهي الأدعية التي استخدمها الشاعر في أشعاره؟
- ما هي الدوافع الكامنة وراء استخدام الشاعر لهذه العبارات؟

وقد اقتضت طبيعةُ الدراسةِ تقسيمَها إلى مبحثين رئيسين، إضافةً إلى مقدمة وخاتمة. أما المبحثُ الأوّلُ فقد قُدِّمتْ فيه نبذةٌ مختصرةٌ عن حياة الشاعر نفعي ونسبه ونشأته وشعره وأهم مصنفاته. وأما المبحث الثاني فقد عُنون له بـ "المدعوُّ عليهم في شعرِ نفعي"، وتم تقسيمه إلى ثلاثة مطالب، كان أوّلها عن الدعاء على الآخر، وثانيها عن الدعاء على الذات، وثالثها عن الدعاء على الفَلَك، وحاولنا فيه إبراز الدوافع النفسية التي دعت نفعي لكل ذلك. وأما الخاتمة فقد تضمنتْ أهمَّ النتائجِ الّتي توصلتْ إليها الدراسة.

المبحث الأول: نفعي: حياته وشعره ومؤلفاته

لما كان نفعي أحد أهم الشعراء الأتراك الذين عاشوا في النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادي؛ فقد عرض غير واحدٍ من المصادر والمراجع التركية تاريخ حياته؛ ولهذا فإنني لست هنا بصدد توثيق حياته تفصيلًا، ولكن لا بد من الإلمام بنسبه ونشأته، ومن الوقوف عند المحطات المهمة في حياته اعتمادًا على تلك المصادر والمراجع؛ للإفادة من ذلك في دراسة دوافعه النفسية للهجاء.

هو عمر بن محمد بن ميرزا علي الأرضرومي. ولد في مقاطعة أرضروم وبالتحديد في منطقة باسينلر التي كان يطلق عليها قديمًا اسم حسن قلعة (Hasankale). وعلى الرغم من اتفاق المصادر والمراجع على مكان ولادته إلا أن تلك المصادر لم تحدد تاريخ ولادته، بَيْدَ أن جمهور الباحثين المحدثين (Akkuş, 1991, p.2; Çiftçi, 1997, p.354; Ocak, 2002, p.63). قد رجّحوا أنه وُلد عام 980هـ/ 1572م مستندين في ذلك إلى معلوماتٍ أوردها مصطفى علي جلبي (ت 1600) في مصنفه "مجمع البحرين"، وإلى بعض الإشارات التي أوردها الشاعر نفسُه عن حياته في قصيدته التي كتبها بمناسبة تولي حافظ أحمد باشا الصدارة العظمى عام (1034هـ/1625). وقد خالفهم الرأي الدكتور نامق اجيق كوز وذهب إلى أنه وُلد عام 983هـ/ 1575م. (Açıkgöz, 1999, p. 13)

كان جدُّه ميرزا علي أميرَ سَنْجَق (لواء) باسينلر، أمّا والده فكان يشغل منصب أمير سنجق صاري قاميش في تلك الفترة، وعلى الرغم من ذلك فقد عاش نفعي مع أسرته حياةً فقيرة دون أي حماية، وذلك عقِبَ أن غادرهم والده إلى شبه جزيرة القرم؛ ليعيش وحده حياةً رغيدةً هانئة، وهذا ما أشار

إليه نفعي في إحدى قصائده التي كتبها في هجاء والده، التي يقول في أحد أبياتها:

"Peder değil bu belâ-yı siyâhdır başıma" (Akkuş, 2006, p. 523)

(ترجمة **المصراع:** هذا ليس أبًا، إنّه مصيبةٌ سوداءُ نَزلتْ على رأسي).

بدأ نفعي تعليمَه في مسقط رأسه باسينلر، ثم في مقاطعة أرضروم؛ فتعلم فيها اللغة الفارسية والتقى بمصطفى علي جلبي الذي كان يشغل وظيفة أمين الخزنة في تلك الفترة، الذي كان له الفضل في تطويرثقافته الفارسية، و تطوير معارفه الشعرية والأدبية، الذي اقترح عليه استخدام مخلصه (اسمه المستعار) نفعي بعد أن كان يستخدم مخلص ضَرّي، ولهذا عبر نفعي عن امتنانه له على هذا الاقتراح بقوله في إحدى قصائده مخاطبا إياه:

"Eyledün mahlas-ı Nef'î ile kadrüm a'lâ

Zihn-i pâkümde görüp kuvvet-i iz'ân-ı Sühan" (Kaçar, 2019, p. 12)

(**ترجمة البيت:** لقد رفعتَ قدري ومكانتي إلى المعالي حينما أعطيتني مخلص نفعي، بعد أن رأيتَ قدرةَ عقلي اللامعِ على قول الكلامِ الجميل).

انتقل نفعي إلى إسطنبول في السنوات الأولى لحكم السلطان أحمد الأول (1603- 1617)، والتقى بالسلطان بواسطة الصدر الأعظم، وقدم له مجموعة من القصائد فنالت إعجابه واستحسانه. وهذا ما دفع السلطان إلى تقريبه منه وتوليته العديدَ من الوظائف المهمة في مختلف مناطق الدولة.

وعاصر الشاعر أربعة من الخلفاء العثمانيين هم أحمد الأول (1603-1617) و مصطفى الأول (1617-1618، 1622-1623) وعثمان الثاني (1618-1622) ومراد الرابع (1623-1640م)، (Ocak, 2002, p. 63) بَيْدَ أن شهرته الفنية بلغت ذروتها في عهد السلطان مراد الرابع، وقد كانت شخصيته الحادة المتشابهة مع شخصية السلطان مراد سببًا في حبه له وتقريبه منه، وإلى جانب ذلك فقد كتب نفعي مجموعة من القصائد في مدح عدد من المسؤولين المهمين في الدولة فلاقت إعجابهم وتقديرهم، ودفعتهم إلى إغداق الهدايا والجوائز عليه. على أنّ ذلك لم يدم طويلًا؛ فشخصيته المتقلبة وسلوكاته العدائية، وعدم وقوفه عند حدٍّ في الهجاء، واستمراره في الهجاء اللاذع المهين حتى لأقرب الناس إليه أفقده كل هذه العلاقات، وأسقطه من عيون مسؤولي الدولة، وجعله هدفًا لهم، فعزل من وظيفته ثلاث مرات حسب ما يفهم من أشعاره؛ مما دفع السلطان مراد الرابع إلى إصدار أمر يقضي بمنعه عن كتابة الهجاء؛ إذ يروي مصطفى نعيما (ت. 1716م) (2009, p. 3/ 235) أنه ذات يوم ماطر عاصف وبينما كان السلطان مراد يقرأ في القصر كتاب نفعي الموسوم بـ"سهام قضا" إذ وقعت صاعقة قرب العرش، فتطايرت منها النيران مما دفع السلطان إلى التشاؤم، وتمزيق ما بيديه من الصحائف، ثم استدعى السلطانُ نفعي وأصدر أمرًا يقضي بمنعه من قول الهجاء. وقد رأى معاصروه أن هذه الواقعة لم تكن إلا بلاءً من الله بسبب خبث لسانه، فقال أحد الشعراء شامتًا به:

"Gökden nazîre indi Sihâm-ı Kazâ'sına

Nef'î diliyle uğradı Hakk'ın belâsına" (Kaçar, 2019, p. 13)

(**ترجمة البيت:** هبطت من السماء معارضةٌ لكتابه سهام قضا، فلقي نفعي بسبب لسانه بلاء الحق تعالى).

واستجابة لأمر السلطان تعهد نفعي بعدم كتابة الهجاء، وأغلظ الأيمان على التوبة، فقال في ذلك بيتين من الشعر:

"Bugünden ahdüm olsun kimseyi hicvetmeyim illâ

Vireydün ger icâzet hicv iderdüm baht-ı nâ-sâzı

Beni dûr etti zîrâ dergeh-i devlet-penâhından

Nice hicv etmeyem bir böyle gaddâr ü çep-endâzı" (Kaçar, 2019, p. 13)

(**ترجمة الأبيات:** وعد عليَّ حقّ ألا أهجو أحدًا أبدًا من اليوم فصاعدًا، ولكن لو أذنتَ لي لهجوتُ حظي العاثر. فكيف لي ألا أهجو ذلك الحظ الماكر الشرير وقد أبعدني عن باب السلطان؟!)

لكن نفعي نسي ذلك العهد، وحنث في يمينه فهجا الصدر الأعظم بيرم باشا، فغضب السلطان مراد الرابع عليه وأصدر أمرًا بقتله خَنقًا في شعبان عام 1044 هجري الموافق للسابع والعشرين من شهر كانون الثاني عام 1635م، وألقيت جثته في البحر.(Kaçar, 2019, p. 14)

لم يتردد نفعي في قول ما يعرفه ويريده بشكل صريح، وقد كانت عباراته حادة لا تعرف الرحمة، بل كانت تكشف عن مواقفه المتمردة، وشخصيته التي تنظر إلى الحياة على أنها ميدان حرب، وهو ما جعله يعيش حياة ملؤها التوتر كما جعله شريرا وعدوانيا وشخصا غير متزن أحيانا، وعرّضه لعقوبة النفي مِرارًا وتكرارا. (Akkuş, 2006, p. 524)

كان نفعي واثقًا بموهبته الشعرية أيما ثقة؛ ففي الوقت الذين كان الشعراء الأتراك يسعون إلى تقليد الشعراء الفرس كان ينظر إليهم، باستثناء عرفي الشيرازي (ت. 1591م)، على أنهم شعراء عاديون لا ينبغي ذكرهم، وكان يدعي في أشعاره التركية أنه يضاهي كلا من خاقاني الشرواني (ت. 1199م) والفردوسي (ت. 1025م) وكمال الدين الأصفهاني (ت. 1237م) وعمر الخيام (ت. 1131م) وسعدي الشيرازي (ت. 1292م) وحافظ الشيرازي (ت. 1390م) وفريد الدين العطار (ت. 1221م) وعبد الرحمن الجامي المعروف بـ"ملا جامي" (ت. 1492م) وغيرهم من كبار الشعراء الإيرانيين، بل إنه كان يدعي أنه

أفضل منهم. وقد كان موقفه هذا بمثابة ثورة ضد التأثير الإيراني في الشعر التركي الكلاسيكي. (Akkuş, 2006, p. 524)

وعلى النقيض من ذلك، فقد عارض (حاكى) نفعي غير واحدٍ من الشعراء الأتراك الذين سبقوه كباقي (ت. 1600)، وفضولي (ت. 1556م) وشيخ الإسلام يحيى (ت. 1644م) وإبراهيم دده شاهدي (ت. 1550م) وغيرهم. (Akkuş, 2006, p. 524)

كتب نفعي شعرًا رصينًا محكم النسج مستخدمًا العديد من أشكال النظم التي كانت سائدة في عصره بيْدَ أنه أكثر من استخدام القصيدة، فكان بإجماع الباحثين أشعرَ من نظم قصيدةً من الشعراء الأتراك. وقام أغلبُ شعرِه على المديح والفخر والهجاء. وقد اتجه في شعره نحو المبالغة والغلو وكان محسنًا في استخدام اللغة الواضحة المفهومة البسيطة البعيدة كلَّ البعدِ عن الغموض والتعقيد، ودفعه إلى ذلك إيلاؤه جلَّ اهتمامه للمعنى، واعتمادُه على الإكثار من الخيال لتعميق معانيه، لا على الإكثار من الألفاظ البراقة المزخرفة. وعلى الرغم من عدم انحسابه على التيار المعروف بـ"سَبْكِ هِنْدِي" الذي كان سائدًا في تلك الحقبة فإنّ مفهومه للغة والأسلوب الشعري لم يختلف عن مفهومهم. (Akkuş, 2006, p. 524) (سَبْكِ هِنْدِي: هو أسلوب من الأساليب الشعرية المهمة التي انتقلت من الأدب الفارسي إلى الأدب التركي في القرن السابع عشر الميلادي، ويمتاز هذا الأسلوب بخصائص عديدة؛ أهمها الاهتمام بالمعنى على حساب اللفظ، والإكثار من الخيال وألوان البيان والإضافات المتتابعة، والاعتماد على المبالغة والتضاد، والتركيز على طرقِ المعاني الجديدة، وتضمين المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة. ويعد ما تعانيه الروح الإنسانية من عذاب ومشقة أحد الموضوعات الرئيسة التي تناولها شعراء هذا الأسلوب، ومن أهم رواده في الأدب التركي: نائلي القديم، وعصمتي، وفهيم القديم، وناديم، وشيخ غالب.(Babacan, 2010, p. 385-390)

نجح نفعي في استحداثِ طريقة شعرية خاصة به ولا سيما في فن القصيدة (مصطلح القصيدة في الأدب التركي يختلف عنه في الأدب العربي؛ فالقصيدة في الأدب التركي هي فنٌّ من فنون الشعر؛ وهي منظومة شعرية يتراوح عدد أبياتها بين تسعة ومئة، وتجيئ على وزن واحدٍ، وقافية واحدة مع ضرورة أن يكون البيت الأول مصرعًا. ويسمى البيت الأول من القصيدة المطلع والبيت الأخير المقطع، في حين يطلق على أجمل أبيات القصيدة اسم بيتُ القصيد أو (شاه بيت). أما البيت الذي يذكر فيه الشاعر مخلصه فيسمى (تاج بيت)، وقد يكون آخر بيت في القصيدة أو البيت الذي يسبقه. وتتكون القصيدة عادة من أربعة أقسام مرتبة كما يلي: النسيب أو التشبيب، والمدحية، والفخرية، والدعاء، ويجب على الشاعر أن ينتقل من النسيب إلى موضوعه الأصلي ببراعة وحسن تخلص وذلك من خلال بيت يطلق عليه اسم (كريزكاه Girizgah). (İpekten, 2010, p. 38,39)) نالت استحسانَ العديد من الشعراء الذين جاؤوا من بعده، وظلتْ مصدرَ إلهامٍ لهم ودفعتهم إلى السير على نهجه وتقليده ومعارضته، ونذكر من هؤلاء الشعراء صبري (ت. 1645م) وفهيم قديم (ت. 1647)، و نائلي (ت. 1660م)، وناديم (ت. 1730م)، وعزت علي باشا (ت. 1743م)، وشيخ غالب (ت. 1799م)، و كچيجي زاده عزّت مولا (ت. 1829م)، وضياء باشا (ت. 1880)، ونامق كمال (ت.1888م) وكاظم باشا (ت. 1890م)، وحقي بك الأسكداري (ت. 1894)، بل إنّ تأثيرَه استمرّ حتى وصل الكاتبَ والشاعر التركي توفيق فكرت (ت.1915)، الذي يُعَدُّ مؤسّس المدرسةِ الحديثةِ في الشعر التركي.(Akkuş, 2006, p. 524)

مؤلفاته:

لنفعي ثلاثة مؤلفات هي:

- **ديوان شعر باللغة التركية**: رتب الشاعرُ هذا الديوان بنفسه وهو على قيد الحياة، وضمّنه أشعاره التي كتبها بالتركية مستخدمًا قالب القصيدة وعددها 62 في موضوعات متعددة كمدح النبي صلى الله عليه وسلم ومدح مولانا جلال الدين الرومي ومدح رجال الدولة. كما ضمنه أشعاره التي كتبها باستخدام قالب الغزل (مصطلح الغزل في الأدب التركي يختلف عنه في الأدب العربي؛ فالغزل في عرف الأدب التركي ليس غرضًا من أغراض الشعر كما هو الحال في الأدب العربي، بل هو ضرب من ضروب الشعر له مواصفاته الخاصة. فالغزل في الأدب التركي هو منظومة شعرية في موضوعات مختلفة يتراوح عدد أبياتها عادة بين أربعة وخمسة عشر بيتًا، غير أن بعض منظومات الغزل يتجاوز عدد أبياتها الخمسة عشر؛ ولذلك أطلق عليها الغزل المطول. ويشترط في الغزل أن تكون أبياته على وزن واحد، و قافيةٍ واحدةٍ، وأن يكون البيت الأول مُرصّعًا. ويسمى البيت الأول من الغزل المطلع والبيت الذي يليه حُسْن المطلع، في حين يطلق على البيت الأخير اسم المقطع والبيت الذي يسبقه اسم حُسْن المقطع. ويطلق على أجمل أبيات المنظومة الغزلية اسم بيتُ الغزل أو شاه بيت. (İpekten, 2010, p. 17)) وعددها 134 في موضوعات العشق ووصف المحبوبة ومجالس الخمر والشكوى من القدر والزمن. كما ضم أشعاره التي كتبها باستخدام الفنون الشعرية الأخرى كتركيبِ بَنْد (هو فن من فنون الشعر الدخيلة على الأدب التركي؛ وهو منظومة مقسمة إلى أقسام يسمى كل قسم منها بَنْدًا، وتكون هذه البنود متطابقة في الوزن لكنها مختلفة في القافية، ويَرِدُ بين كل بنْدٍ وآخرَ بيتٌ منفرد يسمى واسطة، أو بندية، وتكون قافية بيت الواسطة مختلفةً عن قافية البند وقافية واسطة البنود الأخرى، وعادة ما تتكون المنظومة من 5-7 بنود، ويتكون كل بند من 8-20 مصراعًا. ويعد الشاعر روحي البغدادي (ت. 1605م) أهم أعلام هذا الفنّ في الأدب التركي. (İpekten, 2010, p. 114,115)) والمثنوي (هو فن من فنون الشعر الدخيلة على الأدب التركي يعمد فيه الشاعر إلى تصريع أبيات منظومته جميعها؛ بحيث تتطابق فيه قافية صَدْر كلّ بيتٍ مع قافية عَجُزِه، وتختلف قافية كل بيت عن قافية غيره. (İpekten, 2010, p. 59)) والقطعة (هي منظومة شعرية يتراوح عدد أبيتها بين اثنين إلى عشرة وليس فيها بيت المطلع "البيت المصرع" ولا بيت المخلص "البيت الذي يذكر الشاعر فيه لقبه". (İpekten, 2010, p. 52)) والأبيات المفردة. (Akkuş, 1991, p. 33) وقد نُشِر هذا الديوان أول مرة في القاهرة عام 1976، ثم أعاد متين أققوش تحقيقه ونشره عام 1993. (İpekten, 2000, p. 65)

- **ديوان شعر باللغة الفارسية**: أتقن نفعي اللغة الفارسية وكتب بها الشعر متأثرًا بالشاعر الفارسي الكبير عرفي. وقد ضم ديوانه الفارسي ثماني قصائد في المديح النبوي، وثلاث قصائد في مدح مولانا جلال الدين الرومي، وأربع قصائد في مدح السلطان مراد الرابع وغيره من رجال الدولة وقصيدة في وصف مجلس الشراب وقصيدة في الفخر وواحدًا وعشرين غزلية ومئة وواحدًا وسبعين رباعيًا. (İpekten, 2000, pp. 70–71) (الرباعي فن شعري دخل التركية من الفارسية، وهو منظومة شعرية مؤلفة من أربعة مصارع، يشترط فيها أن تكون قافية المصراع الأول والثاني والرابع واحدة، أما المصراع الثالث فلا يشترط موافقة قافيته لها. ويمتاز هذا الفن الشعري عن فنون الشعر الأخرى بإمكانية أن يكون وزن كل مصراع مختلفًا عن وزن مصارع الرباعي الأخرى. ويعد الشاعر عزمي زاده حالتي (ت. 1630م) أهم أعلام هذا الفن في الأدب التركي. (İpekten, 2010, pp. 75–78))

وقد حظي هذا الديوان باهتمام العديد من الباحثين الأتراك، إذ حقق محمد أطالاي (Atalay, 1988) ، كما ترجم علي نهاد طرلان (Tarlan, 1944) إلى اللغة التركية. وتجدر الإشارة إلى أن هذا الديوان يضم قصيدة "تحفة العشاق" التي كتبها كمعارضة لقصيدة فضولي (ت. 1556م) "أنيس القلب" غير أن بعض الباحثين (Akkuş, 2006, p. 524) عدَّ هذه القصيدة كمؤلف مستقل رابع للشاعر نفعي.

- **سِهامِ قَضَا**: ضم هذا المصنفُ أشعارَ نفعي التي كتبها في الهجاء باستخدام فنونِ الشعر التركيِّ المختلفة كالقصيدة، وتركيبِ بند، والقطعة. وقد أطلق نفعي على مصنفه هذا اسمَ "سهام قضا" تشبيهًا لأشعاره التي كتبها في هجاء خصومه مكثرًا فيها من عبارات الشتم والتحقير والسخرية والإهانة بالسهام المطلقة صوبَ الأعداء. وقد نُشر هذا الديوان أول مرة من قبل صَفَّت صدقي عام 1946، (Saffet Sıdkı, 1943) ثم أعاد متين أققوش تحقيقه ودراسته ونشره عام 1998.(Akkuş, 1998)

نفعي المبحث الثاني: المدعو عليهم في شعر نفعي

بعد جمع أمثلة الدعاء بالشر الواردة في ديوان نفعي المكتوب بالتركية وكتابه "سهام قضا" ودراستها تبين أنّ نفعي لم يقتصر في دعائه على شخص أو فئة بعينها، وإنما عمِد إلى توجيه سِهام دعائه بالشر إلى خصومه تارةً، وإلى خصوم ممدوحه تارة أخرى. بل إنه لم يقف عند هذا الحد، بل تجاوز ذلك ليدعو على نفسه وعلى محبوبته وعلى الفَلَك.

وسيناقش هذا المبحث أمثلة الدعاء بالشر في شعر نفعي من خلال تقسيمها إلى ثلاثة عناوين رئيسة:

- الدعاء على الآخَر
- الدعاء على الذات
- الدعاء على الفَلَك

أولًا: الدعاء على الآخر

لجأ نفعي في أشعاره إلى الدعاء على خصومه الشخصيين وعلى خصوم ممدوحه وعلى محبوبته؛ ولهذا يلاحظ أن أمثلة الدعاء بالشر على الآخر متناثرة في أشعاره على اختلاف موضوعاتها؛ وأنها ليست محصورة على أشعاره التي كتبها لغرض الهجاء، وإنما يمكن ملاحظتها أيضًا في أشعاره التي كتبها بغرض المديح، كما يمكن ملاحظتها في أشعاره التي كتبها بغرض الغزل.

وتتنوع عبارات الدعاء وأساليبه في شعر نفعي تبعًا لاختلاف المدعوّ عليه، ومن هنا كان لا بد من إفراد كل مدعوٍّ عليه بعنوان مستقل ودراسة أمثلة الدعاء عليه على حدة، وذلك على النحو الآتي:

- **الدعاء على كبار رجال الدولة**:

عمِد نفعي إلى الدعاء على بعض كبار رجال الدولة في عصره ممن هم دون الخليفة، لكنه لم يجرؤ على الدعاء على خلفاء عصره؛ لمكانتهم السياسية والدينية من جانب وخوفًا من سخطهم وبطشهم من جانب آخر. ويمكن أن يفسّر ذلك على أنه عدوان لفظي غير مباشر يتضمن الاعتداء على شخصٍ بديل؛ بمعنى أنّه من المحتمل أن يكون خوف نفعي من الخلفاء قد دفعه إلى توجيه سهام دعائه إلى كبار رجال دولتهم عوضًا عنهم. وقد ذهب بعض علماء النفس " أن الفرد قد يفشل في توجيه العدوان مباشرة إلى مصدره الأصلي خوفًا من العقاب أو نتيجة الإحساس بعدم الندية فيحوله إلى شيء آخر أو شخص آخر (صديق، خادم...) تربطه صلة بالمصدر الأصلي." (يحيى، 2000، ص. 187)

وقد كان الصدر الأعظم محمد باشا الكرجي (ت. 1626م) وأحمد باشا أكمكجي زاده (ت.؟) أبرز رجال الدولة الذين دعا عليهم نفعي في أشعاره.

فعلى الرغم من مدح الشاعر للصدر الأعظم محمد باشا الكرجي في ثلاثٍ من قصائده، فإنه عامله معاملة سيئة وأتبع ذلك بعزله من وظيفته ثلاث مرات، (Akkuş, 1991, pp. 266–270) مما دفع نفعي إلى هجائه بقصيدة وصِفتْ بأنّها أعنف قصيدة هجاء في كتاب "سهام قضا"، (İpekten, 2000, p. 74) وفي هذه القصيدة يلجأ إلى الدعاء فيدعو عليه بأن ينزل الله به البلاء، وذلك بقوله:

"Üçüncü defadır bu, Hak belasın vere melunun

Ki yok yere beni azl etti olmuşken senâ hânı"(Akkuş, 1998, p. 152)

(**ترجمة البيت**: هذه هي المرة الثالثة، أنزل الحق ﷻ به بلاءه، ذلك اللعين؛ فقد عزلني دون أي سبب بعد أن كنتُ مدّاحَه)

وفي أواخر القصيدة ذاتها يدعو عليه بأن يُصْلَبَ على رأس عمودٍ إلى يوم الحشْر حتى يجف كالقديد من حرّ شمسِ غضَبِ الله ﷻ؛ فيقول:

"Kadîd olsun kazuk başında kalsun haşre dek öyle

Kurutsun anı tâb-ı âftâb-ı kahr-ı Yezdânî" (Akkuş, 1998, p. 155)

(ترجمة البيت: ليبقَ "أبقاه الله" مصلوبًا على رأس عمود إلى يوم الحشْر حتى يصيرَ قديدًا، ولتُجفِّفْه حرُّ شمس غضبِ الرّب).

ولم يقف نفعي عند هذا الحدِّ، بل كَتَبَ في هجائه قصيدةً أخرى وجعلها مُردَفة (الشعر المردف: هو الشعر الذي يحتوي على رديف؛ وهو ما يتكرر في آخر كل بيتٍ شعري من أبيات المنظومة بعد حرف الروي من حرف أو أداة أو كلمة أو عبارة. ((Albayrak, 2007, p. 523) بعبارةِ (a köpek) التي تعني "أيها الكلب"؛ لنجدَه يدعو عليه في أحدِ أبياتِها بأنْ تكون جهنمُ مثوىً لروحه؛ فيقول:

"Ehl-i dil düşmeni dîn yoksulu bir mel'ûnsun

Öldürürlerse eger cân-be-cehennem a köpek" (Akkuş, 1998, p. 157)

(ترجمة البيت: أنتَ ملعون عديمُ الإيمان، وعدوُّ أهلِ القلوب؛ فإن يقتلوك فلْتذهبْ روحُكَ إلى الجحيم أيّها الكلب.)

وفي القصيدة نفسها يوضح نفعي أن منأفسد العلاقة بينه وبين الصدر الأعظم هو العالم والخطاط والشاعر غني زاده نادري (ت. 1626م)؛ ولهذا ارتأى أن يعامله معاملة المرأة فلقبه بـ(كيرلي نيقار Kirli Nigar). ولذلك نجده في آخر القصيدة وفي معرض لومه للصدر الأعظم على استجابته واستماعه لهذه الزانية يدعو عليه بأن تخرج خصيته؛ فيقول:

"Niçün uydun o deni kahbeye hâyen çıksun

Kovsan olmaz mı idi ebsem otursam a köpek"(Akkuş, 1998, p. 163)

(ترجمة البيت: فلتخرجْ خصيتكَ، لماذا استجبت لهذه الزانية الهابطة، ألم يكن بوسعك طرده لأجلس مبتسما مرتاحًا أيها الكلب).

ومن كبار رجال الدولة الذين وجه لهم نفعي سهام دعائه الصدر الأعظم وأحمد باشا أكمكجي زاده؛ فقد هجاه في منظومة كتبها باستخدام قالب تركيب بند واصفًا إياه بالجاهل الغبي، كما اتهمه بظلمِه؛ ولذلك نجده في البيت الآتي يسأل الله أن يكون ظلمه له سببَ نقصانِ عمره وعمر دولته؛ بمعنى أن يكون ظلمه له سببًا لوفاته وزوال دولته:

"Yalanuz bana olan zulmüni Hak'dan dilerem

Ömrine devletine bâ'is-i noksân olsun"(Akkuş, 1998, p. 167)

(ترجمة البيت: أسأل الحقَّ ﷻ أن يكون ظلمُه الذي أوقعه عليَّ تحديدًا سببًا لنقصان دولته ونقصان وعمره).

وفي موضع آخر من المنظومة نفسها يسأل الله أن يعجل في موته؛ فيقول:

"Devleti devlet-i İslâmı zebûn etdi hele

Katı lutf eyler ecel mevtine etse aclele"(Akkuş, 1998, p. 168)

(ترجمة البيت: لقد جعل الدولة عاجزة أمام الدولة الإسلامية؛ فليت الأجل يتلطف ويعجل بموته).

وفي المنظومة نفسها يدعو عليه وعلى أتباعه بالقهر والذل، وأن تخسف بهم الأرض، فيكون مصيرهم كمصير قارون؛ وفي ذلك يقول:

"Cümle etbâ'ı ile kahr ede Hak mel'ûna

Yedi kat yere geçüp hemdem ola Kârûna"(Akkuş, 1998, p. 173)

(ترجمة البيت: قهرَ الحقُّ ﷻ هذا الملعونَ واتباعَه وأعوانَه جميعًا، ولتُخسفْ بهم الأرضون السبعُ وليصبحوا أصدقاء لقارون).

وفي منظومة أخرى كتبها في هجوه يكرر دعاءه عليه وعلى أتباعه بالقهر والذل قائلًا:

"Yâ ilâhî dilerin kahr ola etbâ'ı ile

Rûz u şeb cümle du'âsı bu dürür dünyânun"(Akkuş, 1998, p. 183)

(ترجمة البيت: أسألك يا إلهي أن تقهره وأتباعه، وهذا هو دعاء الليل والنهار والدنيا بأسرها)

ومن كبار رجال الدولة الذين وجه لهم نفعي سهام دعائه هو غني زاده نادري الذي كان يشغل منصب (قاضي عسكر) في تلك الفترة، الذي ذكرنا أعلاه أن الشاعر اتهمه بإفساد العلاقة بينه وبين الصدر الأعظم محمد باشا الكرجي، وعامله معاملة المرأة مطلقًا عليه لقب (كيرلي نيقار Kirli Nigar). ففي القصيدة المُردَفة (a köpek)؛ أي "أيها الكلب" نجده يدعو عليه بأن ينزل الله به البلاء، وذلك بقوله:

"Soñra tuydum seni ol fâhişe kuşkurdugını

Hak belâsın vere ol fâhişeye hem a köpek" (Akkuş, 1998, p. 159)

(**ترجمة البيت:** أيها الكلب! قد توارد إلى مسامعي لاحقًا أنّ تلك الزانية حرضتك علي. فلينزلِ الحق ﷻ بلاءه على تلك الزانية أيضًا).

وهكذا يظهر لنا أنّ الصيغَ الدعائيةَ السابقةَ كلَّها تتآزر في الكشف عن سخط نفعي على كبار رجال الدولة والتعبير عن الحالة السلبية الداخلية له؛ فالدعاء بالشر على كبار رجال الدولة عنده هو عبارة سلوك لفظي يتضمن تعبيره عن مشاعر غضبه واحتجاجه على الظلم الذي وقع عليه منهم، وهو تعويض سلبي لعجزه عن استيفاء حقه منهم. ولربما يكون لجوؤه إلى الدعاء عليهم شكلًا من أشكال التعويض السلبي عن مركب النقص الناجم عن عدم حصوله على أي منصبٍ في الدولة، خاصة أن غالبية عبارات الدعاء عليهم كانت بالهلاك ونقصان العمر والتعجيل بالموت وغيرها وأن هذه الأدعية جاءت مصاحبة لمعانٍ أخرى من السخط كالكره والحقد والذم وعدم الثقة.

- **الدعاء على خصوم كبار رجال الدولة:**

ذكرنا سابقًا أن الشاعر نفعي برع في المدح براعته في الهجاء. فقد انبرى يمدح الخلفاء وبعضَ كبارِ رجالِ الدولة ويصور بطولاتهم ويتغنى بانتصاراتهم، وخصص لغير واحد منهم قصائد مستقلة. وقد تضمنت هذه القصائد، إلى جانب الدعاء للممدوح بالنصر والتمكين، الدعاءَ على أعدائه وعلى أعداء دولته بالشر والهلاك والخذلان والهزيمة وغيرها.

ففي القصيدة التي كتبها في مدح السلطان أحمد الأول يدعو نفعي على أعدائه الذين يقفون في طريقه بأن تتدحرج رؤوسهم أمامه كالكرة، وفي ذلك يقول:

"Top eylesin yolunda ser-i düşmeni kazâ

Tâ kim felekde mâh-ı neve savlecân verir" (Akkuş, 1991, p. 105)

(**ترجمة البيت:** جعل القدرُ رؤوس الأعداء تتدحرج أمامك كالكرة، وهو - أي القدر- بذلك يعطيَ القمر الجديد "الهلال" الذي في السماء عصا).

وفي قصيدة أخرى كتبها في مدح السلطان عثمان الثاني وتصوير بطولاته يصف أعداءه بأنهم أعداء الدين، ولذلك نجده يدعو عليهم بأن تتدحرج رؤوسهم تحت أرجله، ولا شك في أنه بذلك يدعو للسلطان بالنصر والتمكين ويدعو على أعدائه بالهزيمة:

"Eyledikçe azm-i meydân-ı gazâ evvel kadem

Pây-mâl olsun yolunda düşmen-i dînin seri" (Akkuş, 1991, p. 161)

(**ترجمة البيت:** فلتكن رؤوس أعداء الدين تحت أرجل الخليفة كلما توجه إلى ساحة الحرب ووصل إليها).

ولم يقتصر الدعاء بالشر في شعر نفعي على خصوم الخليفة بل إنه شمل أيضًا خصوم غيرهم من كبار رجال الدولة؛ ففي أواخر قصيدة كتبها في مدح الصدر الأعظم حافظ أحمد باشا يدعو على أعداءه بأن يكونوا من المحزونين، وأن تكون عجائب تقدير الله سببًا لحيرتهم وذهولهم؛ فيقول مخاطبًا إياه:

"Hak kadrin efzûn eylesin adânı mahzûn eylesin

Gittikçe mağbûn eylesin düşmanların takdîr-i Rabb" (Akkuş, 1991, p. 422)

(**ترجمة البيت:** رفع الحقُّ عز وجل قدْرَك، وأحزن أعداءَك. وجعلتهم أقدار الرب في حيرة وذهول من أمرهم يومًا بعد يوم).

أما خصوم الصدر الأعظم خسرو باشا البوسنوي (ت. 1632م) فقد دعا عليهم في القصيدة التي كتبها في مدحه بأن يحل عليهم غضب الله فيكون سببًا لذلهم وشقائهم؛ وفي ذلك يقول:

"Sadr-ı devletde saâdetle ser-efrâz ola hem

Ede düşmanlarını kahr-ı İlâhî tahkir"(Akkuş, 1991, p. 302)

(**ترجمة البيت:** فلتدمْ بسعادةٍ مرفوع الرأس في (منصب) صدارة الدولة، وليذلَّ الغضبُ الإلاهي أعداءَك وليُخزِهم).

وفي معرض مدحه لإبراهيم باشا يدعو على خصومه بالهلاك والدمار على الصعيدين المادي والمعنوي؛ فيقول:

"Hasmının Hak hâne-i cismini vîrân eylesin

Eylesin mamûre-i kalbin harâb ender harâb" (Akkuş, 1991, p. 419)

(**ترجمة البيت:** دمّر الحق ﷻ أجسام خصومك، وصيّر قلوبهم المعمورة خرابًا في خراب).

وينظم الشاعر مقطوعة شعرية في مدح الوزير الأعظم بيرام باشا (ت. 1638) فيلجأ في أواخرها إلى الدعاء على أعدائه بأن تحل عليهم صدمة غضبه فتسحت رؤوسهم؛ فيقول:

"Sadr-ı devlette saâdetle serefrâz ola hem

Sadme-i kahrı nigûn ede ser-i adâyı"(Akkuş, 1991, p. 328)

(**ترجمة البيت:** فلتدمْ بسعادةٍ مرفوع الرأس في (منصب) صدارة الدولة، ولتسحقْ صدمةُ غضبكَ رؤوسَ أعدائك).

ويتضح من الأمثلة السابقة أن هذه الأدعية جاءت في معرض مدح الشاعر للخليفة وغيره من كبار رجال الدولة، وأن دافع الشاعر إلى هذه الأدعية هو محاولة التودد إليهم والتقرب منهم والسعي إلى إرضائهم بهذه الأدعية التي تمجد دولتهم وتثبت قوتهم وتكسر شوكة عدوهم.

- **الدعاء على المخالفين في الرأي:**

من الموضوعات التي طرقها نفعي في أشعاره وصف مجلس الشراب، وفي إحدى المقطوعات الشعرية التي خصصها لوصفه يصور مكانة الشراب عند المحبين وأهميته عندهم؛ ولذلك يدعو ألا يغيب عن مجلسهم ولو للحظة واحدة، وفي البيت نفسه يدعو على من يخالفونه الرأي ولا يقدرون أهمية الشراب بأن لا يجدوا أي تقدير وإجلال، وفي ذلك يقول:

"Meclis-i erbâb-ı dil bir lahza sensiz olmasın

Hürmetin inkâr eden âlemde hürmet bulmasın" (Akkuş, 1991, p. 425)

(ترجمة البيت: لا أغابك الله ولو للحظة عن مجلس أصحاب القلوب، وليُحرم كلُّ من لا يُكِنُّ لكم الاجلالَ والتقدير إجلال العالم بأسره**)**.

- **الدعاء على المعشوقة:**

يعدّ الغزل أحد أهم الأغراض الشعرية وأكثرها طرقًا في الأدب التركي، وقد تنوعت طرائق تناول هذا الموضوع؛ فكان أحيانًا الغرض الأساسي للمقطوعة بأكملها، وكان في مقطوعات أخرى مقدمة للغرض الأساسي، لا سيما في قسم النسيب في فن القصيدة. ومن أبرز سمات المحبوبة في الأدب التركي الكلاسيكي القسوة والجفاء والهجر للمحبوب، والإعراض والتمنع عنه وصده؛ ولهذا يلجأ الشعراء إلى تصوير ما يعانيه من عذاب النوى وآلام الهجر، وما يقاسيه من تباريح الصبابة. وعلى الجانب الآخر فإن من أبرز صفات المحب في الأدب التركي الكلاسيكي الصبرُ وعدم الشكوى.

ولم تكن حال نفعي مختلفة عن حال غيره من شعراء عصره، فقد وصف مفاتن محبوبته وما يلاقيه من منها من الصد والهجر والجفاء والإعراض وما يعانيه جراء ذلك من آلام وعذاب وهيام وتبريح واصطلام، غير أنه كان صابرًا يرى كل ما يعانيه من الهوى من الشقاء والبلاء والبؤس نعمةً ومسرة. وعلى الرغم من ذلك رأينا أنه لجأ في موضع واحد لا غير إلى الدعاء عليها بأن يصير شَعرها ترابًا فيكون هو والأرض سواء؛ فقال:

"Nice bir dil gam-ı zülfünle perîşân olsun

Göreyin zülfünü ki hâk ile yeksân olsun" (Akkuş, 1991, p. 495)

(ترجمة البيت: إلى متى سيظل القلب مدمرًا محطمًا بسبب الهمّ الذي سببه شَعْرُكِ، فليسوى شعرُكِ بالأرض، وحينها دعيني أرى حالكِ**)**.

عمد نفعي إلى تشخيص شعر محبوبته ووصفه بعدم الإشفاق والرحمة، ولجأ إلى اختزال أحاسيس الألم والمعاناة الناجمة عن الحب بالدعاء عليه. ونرى أنّه لم يقصد من خلال هذا الدعاء إيذاء المحبوبة وإنما سعى من خلاله إلى إثبات معاناته وتأكيدها وإشعار القارئ عن مدى تعمق عشقه وتعلقه بمحبوبته؛ فوجد في تلك الدعوات اختصارًا للمسافة نحو الوصول إلى إقناع القارئ بموقفه هذا؛ ولذلك نجده في موضع آخر يتمنى أن يقعَ نسيمُ الصَّبا أسيرًا لشعرها المجعدِ في أثناءَ عبوره بين ثناياه، فيلاقي بعض الجفاء والصد حتى يعرفَ حجمَ المعاناةِ والألمِ الذي يَجِدُهُ المحبونَ من الحبّ، فيقول:

"Olsun ko sabâ da ham-ı zülfüne giriftâr

Çeksin biraz işkence-i kullâb cefâsın

Görsün ne çekermiş dil-i erbâb-ı muhabbet

Başına belâ eylemesin zülfü hevâsın" (Akkuş, 1991, p. 508)

(ترجمة الأبيات: فليقع نسيم الصبا أسيرًا بين ثنايا شعرها، وليذقْ بعض وبالِ صدّها وجفائِها، لعلهُ يرى ما تعانيه قلوبُ المحبين، ويفهم كيف أن شعرها بلاء ومصيبة**)**.

وربما يكون حبّ الشاعر لمحبوبته وشدة تعلقه بها قد دفعه إلى الدعاء على عضو من أعضائها لا عليها ككل، وهو ما منعه أن يكرّر هذا الدعاء أو غيره في موضع آخر..

ثانيًا: الدعاء على الذات

على الرغم من حب الإنسان لنفسه فإنه يصاب أحيانًا بالضيق والاستياء ممن حوله، فلا يجد مخرجًا سوى لومِ نفسه والدعاءِ عليها لتفريغ انفعالاته المكبوتة في العقل الباطن، وللتعبير عن شعور الألم والإحباط المخيم عليه. و"*لأن معاقبة الذات هي من ضمن أشكال العقاب حكمًا فإن على العدوان المنقلب إلى الذات أن يتغلب على قدر معين من الكبح، وبالتالي قلما يقع إلا إذا كانت الأشكال الأخرى من التعبير عرضة لكبح أكثر شدة. وإذا ما اعتبرنا أن مقدار الكبح الذي تتعرض له مختلف أعمال العدوان ثابتًا [كذا] نسبيًا، فإن الميل إلى العدوان على- الذات يكون أشد سوءًا حين يعدّ المرء نفسه، لا عنصرًا خراجيًا آخر، مسؤولًا عن الإحباط الأصلي، أم حين يحال دون حدوث العدوان المباشر من قبل الذات لا من قبل عنصر خارجي.*" (لورنز، 1986، ص. 38)

وقد أفدنا سابقًا أن الصدر الأعظم وأحمد باشا أكمكجي زاده كان أحد ألد أعداء نفعي؛ وأن نفعي قد اتهمه بظلمه، ولذلك هجاه في منظومة كتبها باستخدام قالب تركيب بند واصفًا إياه بالجاهل الغبي، كما وجه إليه سهام دعائه. لكن ذلك لم يكن كافيًا لتفريغ انفعالاته وأحاسيس الألم والوجع المكبوتة في اللاشعور؛ لذلك نجده في المنظومة نفسها يلجأ إلى التعريض بالدعاء على ذاته في معرض تعهده بالانتقام منه بواسطة الهجاء، فيقول:

"İntikâm almaz isem hicv ile ben de ondan

Şâ'iriyyet bana her vechile bühtân olsun"(Akkuş, 1998, p. 167)

(**ترجمة البيت:** إذا لم أتمكن من الانتقام منه بالهجاء، فلتكن الشعرية بكافة وجوهها بهتانًا وتهمة زائفةً توجهُ لي).

ومما لا ريبَ فيه أن هذا الدعاء ليس دعاء حقيقيًّا ولا يُعَدُّ عدوانًا كلاميًا كما هو الحال في بعض أمثلة الدعاء على الآخر؛ وإنما جاء في سياق التهديد للصدر الأعظم بالانتقام منه، لتقرير أن الشاعر سينتقم منه من خلال الهجاء؛ فالشاعر في الحقيقةِ لا يتمنى أن يُحرم شاعريته، وإنما يقصد من خلال هذا الأسلوب إيصال رسالة مفادها أنّ انتقامه من الصدر الأعظم بالهجاء أمر واقع لا محالة. وربما كان تضخم الأنا عنده واستفحالها وسيطرتها عليه هو ما دفعه إلى هذا الدعاء؛ فهو يتكلم وفي نفسه ثقة كبيرة بأنه سيتمكن من الانتقام من الصدر الأعظم بالهجاء.

ثالثًا: الدعاء على الفَلَك

كان القدماء يعتقدون أن السماوات هي الأفلاك، وأن الافلاك تسعةٌ مركبة بعضها في جوف بعض، وكانوا يطلقون على النقاط اللامعة في السماء اسم "الكواكب"، ويقسمونها إلى قسمين: السيارة (المتحركة) والثابتة، ويميّزون السيارة منها عن الثابتة، ويرون أنّ كل واحد منها له تأثيره وسيطرته على العالم، وعلى كل ما يعيش فيه من كائناتٍ حيةً كانت أم غير حيةٍ، وأنّ لكل منها طبيعتُه الخاصة؛ فبعضها يدل على السَّعد وبعضها الآخر يدل على النّحس، و كانوا يعتقدون أن للأفلاك تأثيرًا على جميع ما يحدث في العالم، فيسندون لها كل ما يحدث من حوادث، ويعتبرونها المسببّ لما يصيبهم وينزِل بهم. (Şentürk, 1994; Onay, 2004, p. 209)

وقد انعكس هذا الفكر على الشعر التركي الكلاسيكي بشكل عام؛ فتحدث الشعراء في قصائدهم عن الفلك وعلاقة الإنسان به، فوصفوه بالقوة والقهر والسيطرة والظلم، واشتكوا من ذلك، وتحدثوا عن عجز الإنسان وضعفه أمام هذه القوة، فصوروا العلاقة بين الفلك والإنسان علاقة قهر وسلطة وسيطرة بيد الفلك. (Kul, 2015, p. 20)

ولم تكن رؤية نفعي تجاه الفلك مختلفة عن رؤية غيره من شعراء عصره؛ فشكا من دورانه خلاف ما يريد، وحمّله مسؤولية ما يلحق بقلوب العاشقين من خراب ودمار؛ لذلك نجده في البيتين الآتيين يدعو عليه بالخراب والدمار والحزن، ليذوق بعضًا مما أصاب به قلوب العاشقين وهو لا شك في واحد منهم:

"Bu ne gerdîş bu ne cünbîş bu ne devrân olsun

Böyle kalursa felek hâk ile yeksân olsun

Hâtır-ı ehl-i dili ol nice eylerse harâb

Temelinden yıkılup ol dahi virân olsun" (Akkuş, 1998, p. 166)

(**ترجمة الأبيات:** ما هذه الهيئة التي يدور عليها؟ ما هذه الطريقة في الحركة؟ وما هذا الدوران؟ فليسوَّ الفلكُ بالأرض "فليقلب رأسًا على عقِب" إن استمرّ على هذا النحو. ليدمّرْ كليًا أيضًا، وليخرّب كما يدمّر ويخرب عواطفَ أهل القلوب).

وفي البيت الآتي نلحظ أنه يعزو الدمار والهلاك إلى الفلك، ويتهمه بالاستمرار بالجور والظلم وإفساد كل شيء، فيكرر دعاءه عليه بعد أن يُشخصه بأن يجعل له وجهًا؛ فيقول:

"Dûd-ı âhım ko yüzün kapkara kılsın feleğin

Cevri terk etmez o bir şöylece reng etmeyecek"(Akkuş, 1991, p. 493)

(**ترجمة البيت:** ليُسوّدْ دُخَانُ آهاتي وجهَ الفلك، فهو لا ينفك عن الجور وهكذا لن يبقي لشيءٍ لونًا).

لقد كان الفَلَكُ في ذهن نفعي، إذًا، قوةً مسيطرةً على الحياة بشكل عام وعلى حياته وحياة العاشقين مثله، ولهذا اتهمه بالوقوف حجرة عثرة في طريق تحقيق أمنيات الوصل، وبكونه سببًا للمعاناة والشقاء، فاتخذ منه موقف الشكوى. لكن ذلك لم يكن كافيًا لتفريغ الانفعالات ومشاعر الإحباط المكبوتة في عقله الباطن؛ ولذلك لجأ إلى مواجهة هذه القوة الجبارة وكسر طوقها بأدعية صريحةٍ وعنيفة تساعده في إراحة روحه، وتطهير نفسه من المشاعر السلبية والصراعات الداخلية العميقة.

نتائج الدراسة:

سعت هذه الدراسة إلى جمع أبيات الدعاء بالشر في شعر نفعي أحدِ أبرزِ شعراء الأدب التركي في القرن السابع عشر الميلادي وترجمتها إلى العربية وتحليلها ودراستها، وقد قسمت هذه الأبيات وفقًا للمدعو عليهم وحاولت الإفادة، ما أمكن، من بعض مبادئ علم النفس لمعرفة الدوافع الكامنة وراء استخدام الشاعر لهذه العبارات. كما قدمت الدراسةُ نبذه مختصرة عن حياة الشاعر ونشأته ونسبه ومصنفاته، وتوصلت إلى نتائج أهمها:

- وجه الشاعر سهام دعائه إلى كبار رجال الدولة، وخصوم ممدوحه، ومعارضيه الفكريين وإلى معشوقته وذاته وإلى الرياح والفلك.
- عمد الشاعر إلى الدعاء بالشر في واحدٍ وعشرين موضعًا، جاء تسعة منها في الدعاء على كبار رجال الدولة، وستة في الدعاء على خصوم ممدوحيه من كبار رجال الدولة، وواحد في الدعاء على المعارضين في الرأي، وواحد في الدعاء على المعشوقة وواحدٌ في الدعاء على الذات، وآخرُ في الدعاء على الرياح واثنان في الدعاء على الفلك.

- ينقسم الدعاء بالشر في شعر نفعي إلى قسمين: حقيقي ومجازي؛ أمّا الدعاء الحقيقي فقد طلب الشاعر فيه وقوع ضرر بالمدعو عليه وتمثل في دعائه على كبار رجال الدولة وخصومهم وعلى معارضيه في الرأي وعلى الفلك والرياح، وأما الدعاء المجازي فلم يقصد به الشاعر طلب وقوع الضرر بالمدعو عليه، وإنما جاء به بغرض التهديد مرة كما هو الحال في الدعاء على الذات، وللتأكيد وإثبات المعاناة مرة أخرى كما الحال في الدعاء على المعشوقة.
- كان العامل النفسي بارزًا بشكل واضح في عبارات الدعاء بالشر في شعر نفعي؛ ويمكن حصر البواعث النفسية لهذه الأدعية بثلاثة أمورٍ رئيسةٍ هي التعويض عن مركب النقص وتضخم الأنا والتنفيس عن المشاعر السلبية. فقد جاء الدعاء على كبار رجال الدولة في شعره متضمنًا التعبير عن مشاعر غضبه واحتجاجه على الظلم الذي وقع عليه منهم، وكان في الوقت نفسه تنفيسًا وتعويضًا سلبيًا لعجزه عن استيفاء حقه منهم. ولربما كان لجوؤه إلى الدعاء عليهم شكلًا من أشكال التعويض السلبي عن مركب النقص الناجم عن عدم حصوله على أي منصبٍ في الدولة. في حين جاء دعاؤه على خصوم ممدوحيه من كبار رجال الدولة للتنفيس عن مشاعر الغضب والكره الكامنة داخله تجاه الخصوم. أما الدعاء على الفلك فقد جاء بغرض التنفيس عن مشاعر الشاعر السلبية وصراعاته الداخلية الناجمة عن اعتقاده بأن الفلك هو المسبب لكل أنواع المعاناة والشقاء الواقعة به وبغيره من العاشقين.

المصادر والمراجع

إسماعيل، ع. (2014). *التفسير النفسي للأدب*. لبنان: دار العودة ودار الثقافة.

الدروبي، س. (د.ت). *علم النفس والأدب*. (ط2). مصر: دار المعارف

سويف، م. (1951). *الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة*. مصر: دار المعارف.

القيرواني، ا.ر. (1981). *العمدة في محاسن الشعر وآدابه*. (ط 5). لبنان: دار الجيل للطباعة والنشر.

لورنز، ف. (1986). *سيكولوجية العدوان*. (ترجمة: عبد الكريم ناصيف)، الأردن: دار المنار.

الماضي، ش. ع. (1984). *محاضرات في نظريّة الأدب*. الجزائر: جامعة قسنطينة.

يحيى، خ. أ(2000). *الاضطرابات السلوكية والانفعالية*، الأردن: دار الفكر للطباعة والنشر.

REFERENCES

Açıkgöz, N. (1999). *Nef'î*. Türkiye: Timaş Yayınları.

Akkuş, M. (1991). *Nef'î, Sanatı ve Türkçe Divanı*. *Basılmamış Doktora Tezi*, Atatürk Üniversitesi, Türkiye.

Akkuş, M. (1998). *Hicvin Ankâları: Nef'î ve Sihâm-ı Kaza (İnceleme, Karşılaştırmalı Seçme Metinler)*. Türkiye: Akçağ Yayınları.

Akkuş, M. (2006). Nef'î. In *TDV İslâm Ansiklopedisi* (pp. 523–525). TDV İslâm Araştırmaları Merkezi. https://islamansiklopedisi.org.tr/nefi

Albayrak, N. (2007). *Redif*. In *TDV İslâm Ansiklopedisi* (pp. 523–525). TDV İslâm Araştırmaları Merkezi. https://islamansiklopedisi.org.tr/redif--edebiyat

Atalay, M. (1988). *Şair Nef 'î, Farsça Divanı'nın Edisyon Kritiği ve Üslubu*. *Basılmamış Doktora Tezi.* Atatürk Üniversitesi, Türkiye.

Bbabcan, İ. (2010). *Klasik Türk Şiirinin Son Baharı Sebk-i Hindi.* Türkiye: Akçağ Yayınları.

Çiftçi, C. (1997). *Maktul Şairler*. Türkiye: Kitabevi.

İpekten, H. (2000). *Nef''î Hayatı Sanatı Eserleri*. Türkiye: Akçağ Yayınları.

İpekten, H. (2010). *Eski Türk Edebiyatı Nazım Şekilleri ve Aruz* (13. Baskı). Türkiye: Dergâh Yayınları.

Kaçar, M. (2019). *Övgü ve Yerginin Zirve Şairi Nef'î*. Türkiye: Edebiyat Ortamı Yayınları.

Kul, N. (2015). *16.Yüzyıl Şâirlerinde Felek Kavramı*. *Basılmamış Yüksek Lisans Tezi,* Ordu Üniversitesi, Türkiye.

Naîmâ, M. (2009). *Târih-i Na'ima* (Mehmet İpşirli (ed.); Vol. 3). Türkiye: Türk Tarih Kurumu.

Ocak, T. (2002). XVII. Yüzyıl Şâiri Nef'î ve Kaside. *Türkbilig*, *3*, 63–82.

Onay, A. T. (2004). *Eski Türk Edebiyatında Mazmunlar*. Türkiye: MEB Yayınları.

Saffet Sıdkı. (1943). *Nef'î Sihâm-ı Kazâ'sı*.Türkiye: Aydınlık Basımevi.

Şentürk, Ahmet Atilla. (1994). Osmanlı Edebiyatında Felekler, Seyyâre ve Sâbiteler (Burçlar), *Türk Dünyası Araştırmaları,* 90, 131-180.

Tarlan, A. N. (1944). *Nef 'î'nin Türkçe Dîvânı Tercümesi*. Türkiye: Demavend Yayınları.